الدرس الثامن العاشر

تفسير سورة المعارج [٢٦ :٣٩]

{وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) }

{وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦)}، أي: أن عندهم يقين بالبعث والمعاد، خلاف ما عليه هؤلاء المشركون الذين بُعث فيهم النبي ﷺ فأكذبوه، وقالوا: {مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس: ٧٨].

ويوم الدين من أسماء يوم القيامة؛ لأنه تقع فيه الدينونة، وهي الجزاء والحساب، وليوم القيامة أسماء عدة، عدّ بعض العلماء منها أربعين، ومنهم من بلغ بها ثمانين، فلها أسماء كما مر في تفسير سورة الحاقة أعلام وأوصاف، فمن أسمائه يوم الدين، اليوم الذي يُدان فيه الناس، فيُجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

والتصديق قول القلب؛ لأن القلب يتعلق به شيئان:

- قول القلب. - وعمل القلب.

فقول القلب: تصديقه، ويقينه، وإقراره.

وعمل القلب فهو ما يتحرك به القلب، من النيات والإرادات، ولهذا قال بعدها قال: {وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧)} فالإشفاق عمل القلب؛ لأنه وجل وخشية، كما قال

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

ربنا ﷻ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال:٢]، فوجل القلب وخشيته من عمل القلب، وليس من التصديق.

وهذا يدلنا على الارتباط والتلازم، بين تصديق القلب وعمله، فلا يمكن إلا أن يُثمر التصديق عملًا؛ ولهذا قال أهل السُنَّة والجماعة: "الإيمان قول وعمل"، ومن الأعمال أعمال القلوب، ومنها الخشية، وذلك أنهم إذا ذكروا عذاب الله تعالى، الذي توعد به الظالمين، اقشعرت جلودهم، وغشيهم من الخوف والفزع، ما يحملهم على اجتناب معاصيه، فهذا الإشفاق إشفاق إيجابي، يحول بينهم وبين الوقوع في محارم الله تعالى.

وما أحوج القلب إلى هذه الخشية؛ لأن الخشية من الله ﷻ هي التي تحجزه عن الوقوع في معصية الله تعالى.

فلا يكفي مجرد التصديق بيوم الدين، حتى ينضم إليه إشفاق وخشية، قال الله ﷻ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} [المعارج:٢٨]، عذاب الله تعالى لا يأمنه من يقدر الله حق قدره، {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ٩٩]، فالأمن من مكر الله من أكبر الكبائر، فيجب على الإنسان أن يكون بين الخوف والرجاء، يرجو رحمته ويخشى عذابه، كما أثنى الله تعالى على الخُلص المؤمنين، فقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء:٥٧]، فلا بُدَّ من تحقيق هذا المعنى في القلب، وهو: الخشية من عذاب الله، وعدم الأمن من مكر الله.

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} [المعارج:٢٨] إلا مَن أمنه الله تعالى، فمن أمنه الله تعالى فهو آمن، قال الله ﷻ عن المؤمنين: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء:١٠٣].

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

وقد قال النَّبيِّ ﷺفيما يرويه عن ربِّه جلَّ وعلا قال: (وعزَّتي لا أجمَعُ على عبدي خوفَيْنِ وأمنَيْنِ إذا خافني في الدُّنيا أمَّنْتُه يومَ القيامةِ وإذا أمِنَني في الدُّنيا أخَفْتُه يومَ القيامةِ)[1] ، فربنا ﷻ يُثني على من يخافه ويخشاه، {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك:١٢]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المعارج: ٢٧].

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)} [المعارج: ٢٩:٣٠]، الإنسان له أنواع من الشهوات، شهوة الطعام، والشراب، والنظر، والسمع، وغير ذلك وثمّ شهوة كبرى وهي شهوة الفرج، فالله ﷻ أثنى على هؤلاء المصلين بأنهم يحفظون فروجهم من أن يضعوا شهوتهم في غير موضعها، من الزنا واللواط، وغير ذلك من الطرائق المحرمة، لما جعل فيهم هذه الرغبة، جعل لها مصرفًا، صحيحًا، صالحًا، وهو والزواج والتسري.

فالزوجة هو من يعقد عليها المرء، عقد النكاح، وأما السُّرية فهي من يتملكه بحر ماله، أو يكون ذلك من السبي، كما في أيام الجهاد، لكن الله ﷻ بيّن أن هذين المصرفين، هما المصرفان الصالحان لقضاء الوطر، {فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)} [المعارج: ٢٩:٣٠]، أي: لا يلحقهم في ذلك ملامة ولا إثم.

خلافًا لبعض المذاهب، وبعض الأديان المُحرفة، التي تعيب من ينكح ويتزوج، فبعض الرُّهبان من الهندوس والبوذيين يمتنعون عن الزواج، وكذلك أيضًا رجال الكنيسة من الأساقفة والمُطران، والشمامسة، وغير ذلك من الرتب الكهنوتية عند النصارى، يمتنعون عن النكاح، فهذا يدل على بطلان ما هم عليه؛ لأن الله تعالى قد أباح هذا؛ لأنه جزء من غريزة الإنسان وحاجته الفطرية.

وهذه الآية أصل في تحريم الزنا واللواط، وكذلك أيضًا نكاح المتعة، فإنه ليس نكاحًا صحيحًا، ونكاح الشغار الذي يقع على سبيل المقايضة، أن يقول أزَوجك موليتي على أن تزوجني

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٦٦٦).

موليتك، فهذا أيضًا ليس نكاحًا صحيحًا، وكذلك أيضًا نكاح التحليل، الذي يعمد فيه المحلل أن ينكح امرأة ليُحلها لزوجها الذي طلقها ثلاث طلقات، فهذه ليست أنكحة صحيحة.

بل ويدخل أيضًا في هذا، الاستمناء باليد، الذي يسمى في لغة العصر بالعادة السرية، فإنه ليس من مصارف حفظ الفرج، لهذا قال الله تعالى: {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}[المعارج:٣١]، فكل ما وراء ذلك فهو نوع من العدوان، وإن كان يتفاوت، فعدوان الزنا واللواط، ليس كعدوان الاستمناء باليد، ولكنه يشمله لفظ العدوان، ويُستدل به على تحريم هذه الممارسات.

ثم قالﷻ: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المعارج:٣٢]، من صفات هؤلاء الموفقين أنهم يفون بالأمانة، ولا يخونونها، ويحفظون العهود ولا يغدرون بها كما قال النبيﷺ: فعنِ أبي رافعٍ قالَ: (بعثني قريشٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فلمَّا رأيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ألقيَ في قلبيَ الإسلامُ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إنِّي واللهِ لاَ أرجعُ إليْهم أبدًا فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إنِّي لاَ أخيسُ بالعَهدِ ولاَ أحبسُ البردَ ولَكنِ ارجع فإن كانَ في نفسِكَ الَّذي في نفسِكَ الآنَ فارجع. قالَ: فذَهبتُ ثمَّ أتيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسلمت)[1]، بل إنه جعل إخلاف الوعد من صفات المنافقين، فقال: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)[2] ، وفي لفظ (وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[3]، تلك صفات المنافقين، ومن وقع فيها من المؤمنين فنفاقه نفاق عملي، فمن شأن هؤلاء المصلين، وهذا من أثر صلاتهم عليهم، أنهم يتقون الله تعالى فيفون بالعهود، ويؤدون الأمانات إلى أهلها، ولا يغدرون، ولا ينقضون الميثاق.

ولهذا قال ربنا لنبيهﷻ: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} [الأنفال:٥٨]، يعني القوم الذي بينك وبينهم عهد وميثاق، وخفت غدرهم، فلا تبادأهم بالغدر، وتغزوهم، ولكن انبذ إليهم على سواء، قل العهد الذي بيننا وبينكم انحل، وانتهى، فهذا من كمال الخلق، ومن محاسن الشريعة.

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٣٨٥٧)، وأبو داود رقم (٢٧٥٨).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٣)، ومسلم رقم (٥٩).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٤)، ومسلم رقم (٥٨).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

{وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)} [المعارج:٣٣]. يتحملون الشهادة، ويؤدونها، إذا استشهدوا شهدوا وأدوها كاملة غير منقوصة، ولا يزيدون فيها ولا ينقصون، كما جاء في الأثر: على مثلها اشهد أو دَع. **وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: تَرَى الشَّمْسَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:** (عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أو دَعْ)[1].

فينبغي لمن شهد أن يتحملها تحملًا صحيحًا، وأن يؤديها أداءً صحيحًا، ولا يجوز كتمانها، كما قال ﷻ: {وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ} [البقرة:٢٨٣] ومن الناس من إذا استشهد على شيء، أو طلبت شهادته، قال: أنا لا أريد أن أدخل في مشاكل!، الواجب عليه، إذا استشهده الحاكم الشرعي في خصومة أن يؤدي الشهادة كاملة غير منقوصة، ولا يسعه كتمانها.

ثم ختم الله تعالى هذه الأوصاف، بما بدأها به، فقال: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤)} [المعارج:٣٤]، يحافظون عليها في شروطها، وأركانها وواجباتها، وسننها.

فالصلاة رأس مالهم، وعمدة عملهم، فهم يعتنون بها، ويُحافظون عليها أشد من محافظتهم على أموالهم، وأهليهم، هذه صفات المستثنين، ممن قال عنهم في أول الآية: {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج:٢١]، فلا يخرج عن هذا الوصف الدنيء إلا أصحاب هذه الأوصاف.

ولو تأملت في المواضع الأخرى التي وصف الله تعالى بها عباده المؤمنين، لوجدتها متقاربة أو متطابقة، فتأمل مثلًا في سورة المؤمنون {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون:١-٢] فابتدأ بالصلاة، ثم ختمها بها بقوله: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المؤمنون:٩].

ثم تأمل أيضًا كيف أن الله قال في المؤمنون {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١٠، ١١]، وقال هاهنا: {أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج:٣٤-٣٥] سواء بسواء، على نسق واحد، وكذلك الحال في آخر سورة الفرقان، في ذكر

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم (١٠٤٦٩).

صفات عباد الرحمن: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: ٦٣] فأتى بالصفات الإيمانية، ثم الصفات المالية الفرقان {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان:٦٧]، وهنا قال: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج: ٢٤-٢٥].

وذكر في سورة الفرقان {وَلا يَزْنُونَ} [الفرقان:٦٨] وقال هاهنا: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المعارج:٢٩]، وفي سورة المؤمنون، طبقها. وكذلك ما ذكر الله في وصف أولى الألباب في آخر سورة آل عمران {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران: ١٩١ - ١٩٤].

وهذا يدعونا معشر المؤمنين، إلى أن نولي هذه الأوصاف التي زيّن الله تعالى بها عباده المؤمنين اهتمامنا، فإذا مرت بنا أوصاف المؤمنين في القرآن، فلنسأل أنفسنا: هل نحن من أهلها أم لا؟، ما نصيبنا منها؟ ولا ينبغي للإنسان أن يقرأها ويتجاوزها وكأنها هي خبر مجرد وحسب، فطبق هذه الأوصاف على نفسك، وانظر ما حظك من، هذه الحزمة من الأوصاف الكريمة؛ الإيمانية، والخلقية، والمالية، والمسلكية. ينبغي أن تتحلى بها لتنال ثوابها، {أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج:٣٥].

جنات، ليست جنة واحدة، جِنان أعلاها الفردوس، التي هي أعلى الجنة، ووسط الجنة، ومنها تفجر أنهار الجنة، وفوقها عرش الرحمن، وفيها من أنواع النعيم، ما لا يخطر بالبال، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)[1].

(1) أخرجه البخاري رقم (٣٢٤٤)، ومسلم رقم (٢٨٢٤)، متفق عليه.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

فالمؤمن تنتهي معاناته بمجرد أن تُسلَّ روحه من بدنه، فيدخل في حياة أخرى كريمة، وإذا كان المُكرم هو الله، فماذا تتوقع؟ لو قيل لإنسان أنك ستكون في ضيافة الملك أو السلطان، أو الأمير، أو سيد القبيلة أو غير ذلك، لتوقع أنه سيلقى حفاوة، وإكرامًا وإنعامًا، فكيف إذا كان المُكرم هو رب العالمين.

وبعد أن ذكر الله ﷻ هذه الآيات، انتقل الحديث إلى أولئك المكذبين، قال تعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} [المعارج:٣٦-٣٨].

هذا السؤال، سؤال استفهام إنكاري، {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} هذه صورة يرسمها القرآن للكفار، المكذبين بالنبي ﷺ، وهو يدعوهم إلى الله، وإلى التصديق بموعود الله، وإلى الإيمان بالقرآن، والبعث ثم هم ينطلقون، ويفرون، يمنة ويسرى.

فمعنى قوله {مُهْطِعِينَ} أي منطلقين، أي: مسرعين، أي: فارين، كما قال في سورة المدثر {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} [المدثر:٥٠-٥١]، فهذه صفتهم حينما يدعوهم النبي ﷺ إلى الإيمان، وإلى الحق، فإنهم ينطلقون تلقاء وجهه، يمنة ويسرة متفرقين فارين.

هذا أحد المعنيين في هذه الآية، {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ}، يعني: عندك فارين منطلقين، مسرعين، كما قال: {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر:٨].

وقيل في معنى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ}، يعني يستقبلونك فرقًا فرقًا متوزعين، ويُكذبونك؛ لأن {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧)} [المعارج: ٣٧] عزين، هذه حال منهم، وعزين جمع عِزة، يعني جماعة وفِرقة، فكأنهم حِلق متحلقة حول النبي ﷺ، يرمقونه ويُكذبونهم، ولا يقبلون ما يأمرهم به، لكن المعنى الأول أقرب.

ويؤيد المعنى الثاني: أن النبي ﷺخرج مرة على أصحابه، وهم حِلق حِلق، فقال: (مَا لِي أَرَاكُمْ

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

عِزِينَ)[1] فهذا من معاني عِزين.

وعِزين على وزن عظين، وهي جمع عِزة، أي: جماعة وفِرقة، وعلى كل حال، هذه الآية ترسم صورة الكفار وهم نافرين من الحق، ومما يقوله النبي ﷺ وأنهم فِرق وأشتات؛ لأنهم كما قال الإمام أحمد في مقدمة كتابه في الرد على الجهمية والزنادقة، قال: "الذين خالفوا الكتاب، واختلفوا في الكتاب، واتفقوا على مخالفة الكتاب".

فهؤلاء أهل الأهواء والبدع، ومن سبق وسلف من المشركين، تنطبق عليهم هذه الأوصاف، فهم مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب كل له رأيه، وطرقه، وهم أيضًا متفقون على مخالفة الكتاب، على تفرقهم واختلافهم فيما بينهم، إلا أنهم يجمعهم التكذيب بالقرآن.

{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨)}.

هذا سؤال للتعجيب من حالهم، يعني أيظن أولئك المعجبون بأنفسهم وحالهم المكذبون بما جئتهم به أنهم قد ضمنوا الجنة، وأن كل منهم سيدخل جنة نعيم! {كَلَّا} هذا قطع لآمالهم.

{كَلَّا}، أي ليس الأمر كما يظنون، كلا فليس لهم إلا العذاب الأليم، وأن لهم جنة نعيم.

ثم ذكرهم بأصلهم المهين، {كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} [المعارج:٣٨]، ما هو الذي يعلمونه؟ ويعلمه كل أحد؟ أن الإنسان خُلق من ماء مهين، كما قال ربنا ﷻ: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ} [المرسلات:٢٠-٢١]، هذا أصلك يا ابن آدم.

وكما قال الله ﷻ: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} [الواقعة:٥٨-٥٩]، فأصل الإنسان من هذا الماء المهين، فكيف يستكبر ويتطاول، ويُنكر البعث!

{كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} [المعارج:٣٦-٣٨]، فتذكيرهم بأصل خلقتم، أكبر دليل في

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٠٨٧٤).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الرد عليهم في إنكارهم للبعث، فالذي خلقكم أول مرة قادر على إعادتكم، بل إن خلق السماوات والأرض أعظم من ذلك.

كما قال ربنا ﷻ: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر:٥٧] لكن من كان مطموس البصيرة، على عينيه غشاوة، وفي أذنيه وقر، وعلى قلبه أكنة، لا يقبل الحق، عافانا الله وإياكم.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله